ما يفوق الانتصار
(رومية ٨)

تأليف: تومي ساوث

تتحدث الرسالة إلى أهل رومية ٨: ٣٥-٣٩ عن النصر! هذا هو الخبر الذي نحتاج كلنا إلى سماعه. تظغط علينا تجارب الحياة بشدة من كل صوب؛ ويبدو اننا قد لا نستطيع الفوز. حتى من وجهة النظر الروحية، أحياناً نميل إلى الشعور بان النصر مستحيل. صحيح اننا قد صرنا مسيحيون، ولكن توجد في ماضينا خطايا رهيبة؛ وفي الحاضر تجارب عظيمة؛ وأما عن المستقبل فمجهول تماماً؟ كيف نحيا بطريقة ننسى بها ماضينا؟ وكيف نتمسك بإيماننا رغماً عن تجارب الحاضر؟ كيف نبقى أحياء بعد المشاكل التي قد يجلبها الغد؟ كيف نفوز بالنصر؟

يقول هذا النص باننا نستطيع ذلك! ولكن لا يقول باننا سنستثنى من المحن والمآسي، بل يقول انه على الرغم من تلك المحن، يمكننا النصر، ويمكننا الفوز، يمكن أن نكون منتصرين!

بل ويقول هذا النص أكثر من ذلك. يقول بانه يمكن ان «يعظم انتصارنا»! أصل الكلمة في اللغة الأصلية هي «هوبرنيكوا νπερνικαω». الكلمة «نيكوا νικαω» تعني عادة «ينتصر»، والكلمة «هوبر νπερ» هي بادئة كما في الكلمة الإنجليزية «هايبر» وتعني «زائد، أو يفوق، أو يفرط». هكذا يقول بولس باننا لا ننتصر وحسب بل ونفوق الانتصار! يبدو بانه كان يعني اننا نفوز بـ «الانتصار الأكثر مجدا». تقول بعض الترجمات: «نحرز ما يفوق الانتصار»؛ «ننتصر نصرا ساحقا».

يمكننا جميعاً فهم ما يعني بـ «فائق النصر»، ألا يمكننا ذلك؟ هذا كأننا فزنا بسباق طويل المسافة كسباق المَرَثَون الذي يبلغ حوالي ٢٦ ميلاً. ولكننا لا نفوز فقط عند شريط النهاية ولكن قد نسبق بعشرة أميال! أو كأننا في مبارة كرة القدم وفزنا فيها ليس بهدف مقابل لا شيء أو هدفين مقابل واحد، بل ١٠٠ هدف مقابل لا شيء. هذا كأننا نسعى للنجاح في عمل تجاري، ونجحنا ليس بقليل جداً فقط. لا نحصل على ربح قليل فقط، بل نربح مليون دولار! هكذا نحن كمسيحيين ننتصر على صعوبات الحياة. لم يقصد الله لنا أن نفوز «بشق النفس» أي الفوز بقليل جداً، بل أعطانا «نصراً فائقاً»! «يعظم انتصارنا»! يحرز المسيحيون «ما يفوق الانتصار»!

كيف؟ يتحدث الأصحاح الثامن من الرسالة إلى أهل رومية عن عدة طرق باركنا بها الله مما يمكننا ان ننتصر على الظروف. لنفكر بتلك البركات لكي نفهم جيداً لماذا يمكن أن نقول «يعظم انتصارنا».

يعظم انتصارنا لأننا لسنا تحت دينونة (رومية ٨: ١-٨)

قال بولس: «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رومية ٨: ١). قبل ان نصبح مسيحيين، كنا تحت الدينونة.ارتكبنا خطية، وأجرة الخطية هي: موت! (رومية ٦: ٢٣). حُكِمَ علينا سابقاً بالموت! ولكن «بالمسيح يسوع» تم تحريرنا من ذلك الحُكم. فقد آمنا بيسوع، وتُبنا عن خطايانا، واعترفنا بان يسوع هو ابن الله

(رومية ٦: ٣ و٤). ثم غُفرت لنا خطايانا، فولدنا ثانية وصرنا أولاد الله. رُفعت عنّا العقوبة! عرفنا بان شخص ما قد دفع الجزاء! وسمعنا الكلمات: « أُثبتت التهمة » كنا في انتظار ذلك اليوم المحتوم لتنفيذ حُكم الاعدام. ومن ثم وصل إلينا الخبر السار: « أنتم أحرار ؟ » لسنا تحت الدينونة بسبب خطايانا في ما بعد.

هذا لا يعني بانه يستحيل علينا الرجوع إلى خطية، وبالتالي مرة أخرى إلى الدينونة التي نجينا منها. بل يعني باننا كمسيحيين حقيقيين لسنا تحت الدينونة الآن!

يعظم انتصارنا لأن لنا روح الله (رومية ٨: ٩– ١٤)

نحن كمسيحيين لدينا الروحِ القدس، أو روح الله، أو روح المسيح. أُعْطِيَ لنا الروح القدس عندما صرنا مسيحيين (أعمال ٢: ٣٨؛ ٥: ٣٢). لماذا؟ من أحد الأسباب ان الروح الساكن فينا هو شهادة باننا مخلصين، وباننا أولاد الله. وسبب آخر هو ان الروح يجعلنا قادرين على إماتة أعمال الجسد (رومية ٨: ١٣). يساعدنا الروح في أن نحيا منتصرين على الخطية. وسبب ثالث هو اننا سنقام من الأموات بواسطة الروح. وأخيراً، يقودنا الروح عن طريق « الفهم وليس الاحساس »، ليس بطريقة عجائبية، بل خاصة بالكلمة الموحى بها.

ولكن النقطة الأساسية التي يجب أن نفهمها هي انه يوجد فينا الروح القدس ضيفاً سماوياً ساكناً فينا، ويساعدنا في الحياة المسيحية. « لا شيء من الدينونة » – قد أُزيل حُكم الاعدام – قد تم الاعفاء من الماضي. والآن لدينا روح الله ساكناً فينا ليساعدنا نعيش لله في الوقت الحاضر. لا عجب اننا « نحرز ما يفوق الانتصار »!

يعظم انتصارنا لأننا أبناء الله (رومية ٨: ١٤–١٧)

ما أجمل الامتياز الذي نتمتع به وهو أن نُدَعي أبناء الله! اعتاد مبشرا مشهوراومحبوبا من السير في الشارع وابتسامة على وجهه وهو مستقيم الظهر و يبدو سعيداً ومسروراً كما لو كان كل شيء على ما يرام. فقال له شخصاً ما: « تبدو وكأنك تملك الدنيا ». فأجاب قائلاً: « لستُ أملك الدنيا، ولكن أبي {السماوي} يملكها »! حقاً يملك أبونا {السماوي} العالم! فلماذا نُصاب بالكرب أو الخوف؟ نحن قادرين أن نحرز ما يفوق الانتصار على محن ومتاعب هذا العالم لأننا أبناء الذي خلق العالم!

يعظم انتصارنا لأننا ورثة الله (رومية ٨: ١٥–١٧)

من ا لمنطق انه إذا كنا أبناء الله، فاننا نكون أيضاً ورثته. أليس يكون شيئا عظيما أن تكون ابنا ووريثا لمليونير؟ فكم بالأحرى ان تكون ابنا ووريثا للآب السماوي مالك الكل!

لاحظ أيضاً باننا « وارثون مع المسيح ». تخيل المجد الذي كان ليسوع، الكلمة الذي كان مع الله في البدء حتى الوقت الذي جاء فيه إلى الأرض وأخلى نفسه عن كثير من الحقوق الإلهية. ثم تخيل الاستقبال الذي لقاه من الآب عند عودته إلى مكانه الحقيقي عن يمين الآب. ما المجد والاكرام والقوة والعظمة التي نالها عندئذ! يعَلّم هذا النص (أنظر أيضاً رؤيا ٣: ٢٠) باننا سنتلَقى هذا النوع من الاستقبال نفسه، وهذا النوع من المجد نفسه! سنشارك في الارث!، عندئذ يمكن ان نقول بكل تأكيد باننا قد أحرزنا « ما يفوق الانتصار »!

يعظم انتصارنا لأن لنا رجاء مجيد (رومية ٨: ١٨–٢٥)

لا استطيع ان اؤكد أكثر من انه لم يتم وعد المسيحيين لا في هذا النص ولا في أي نص آخر من العهد الجديد بالتحرير من المشاكل أو من الاضطهاد أو بالتخلص من الأمراض أو من الموت.

فلماذا يصير الشخص مسيحياً إذاً، إذا كان المسيحي يعاني أيضاً من كل الأسقام « الجسد وريث أيضاً »؟ أحد الأسباب لذلك هو: لأنه قد يكون للمرض معنى جديد بالنسبة للمسيحي – يمكن رؤيته كبركة عوضاً عن لعنة. حتى ولو

كان ذلك يبدو مستحيلاً، يمكن للمسيحي أن يقول دائماً: «مهما اتحمل من معاناة أو إلى أي حد أعاني، توجد هناك في انتظاري حياة أفضل. حتى ولو لا أجد راحة من الألم أو المعاناة في هذا العالم، سأجدها هناك – وستكون تلك الراحة أبدية». يمكن للمسيحي أن يقول ذلك، ولكن لا يمكن لأي فيلسوف أو لمعظم الأديان أن تصرح بذلك.

يعظم انتصارنا لأن الروح يشفع فينا (رومية ٨: ٢٦ و٢٧)

ما الذي يفعله الروح القدس لنا؟ هذا النص يقول بانه «يشفع فينا بأنات لا ينطق بها» (رومية ٨: ٢٦). هناك من يؤمنون بان الروح القدس لا يفعل لنا أي شيء غير ما يقوم به بواسطة الكلمة التي أوحى بها. ولكن هذا النص يقول بانه يفعل شيء لا يمكن أن يفعله إلا شخص أو أقنوم فقط، وليست الكلمة الموحى بها. لاحظ انه لا يقول بان الروح يشفع فينا عكساً لكلمة الله، بل بالأحرى يشفع فينا حسب مشيئة الله. وأيضاً ينبغي أن يضاف باننا ندري بان الروح يفعل لنا هذا، ليس بسبب أي احساس خاص يجعلنا الروح نشعر به، بل بالطريقة نفسها التي نعلم بها باننا مخلصين، وهي: لأن الكتاب المقدس كلمة الله الموحى بها من قبل الروح يخبرنا بذلك!

يقوم به الروح أيضاً! أما كيف أو لماذا يقوم به الروح؟ فلستُ أدري حقاً، كما لا أعلم يقيناً كيف يجعل الله كل الأشياء تعمل معاً حسب تدبيره الإلهي لأجل الخير في حياتي. بل أعلم ان الروح يقوم بذلك! يستمع الله إلى صلواتنا ويستجيب إليها بالايجاب. المسيح هو الوسيط لنا ويلتمس للآب عنا. ويشفع فينا الروح القدس بطريقة ما. ربما يضع في كلمات اشتياقات قلوبنا العميقة التي قد لا نجد لها كلمات. كيف؟ لستُ أعلم يقيناً. أعلم فقط بان الله والمسيح والروح القدس كلهم يهتمون بصلواتي ويعملوا لاستجابة صلواتي – هذا يكفيني! يمكنني أن أحرز ما يفوق الانتصار لأن الروح القدس يعينني عندما أصلي.

يعظم انتصارنا لأننا نستفيد من تدبير الله (رومية ٨: ٢٨)

يوجد في الكتاب المقدس واحد من أغلى الوعود وذلك في الرسالة إلى أهل رومية ٨: ٢٨: «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده».

لاحظ بان هذه الآية لا تقول بان كل الأشياء التي تحدث لنا هي خير، بل تقول بالأحرى بان «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» أو «أن الله يجعل جميع الأمور تعمل معاً لأجل الخير لمحبيه» (ترجمة كتاب الحياة – ترجمة تفسيرية)، وأيضاً ترجمة أخرى تقول: «أن الله يعمل سوية مع الذين يحبونه لخيرهم في كل شيء». يمكن لله أن يأخذ الأحداث التي تبدو كمصادفات في حياتنا (الجيدة وغير الجيدة) ويضعها معاً بحيث يمكنه أن يجعل من الحالات التي تبدو سيئة خيراً. لا يجب فهم الكلمة «خير» هنا كشيء «ممتع» أو «مبهج»، بل كالشيء الذي يكون في آخر المطاف ليس مجرد خير مؤقت، بل الذي يكون خير لدعوى الله وعلى المدى البعيد يكون خيرا لنا.

لاحظ أيضاً بان هذا الوعد ليس لكل فرد، بل للمسيحيين ما دام المسيحيون هم وحدهم الـ «مدعوون حسب قصده» في هذا الدهر. إن لم تكن مسيحياً، لا يمكن ان تدعي بهذا الوعد. ولكن إن صرت مسيحيا يمكنك ذلك.

يعظم انتصارنا لأنه سبق فعيننا للخلاص (رومية ٨: ٢٩ و٣٠)

الشيء المهم الذي يجب أن نتعلمه من هذه الآيات هو انه سبق تعيننا لنُخْلَص! التقرير المسبق في حد ذاته هو تعليم الكتاب المقدس عند فهمه بالطريقة الصحيحة.

هذا لا يعني بان حتمية المصير التي يدعي بها مذهب الكالفين صحيحة. تعلم حتمية المصير الكالفيني كما أفهمها، بان الله قد وضع قائمة باسماء المخلصين قبل إنشاء العالم، ولا يمكن لأي شخص أن يفعل شيئاً لتغيير ما ورد في تلك القائمة. يجب رفض وجهة النظر هذه، لسبب واحد، وهو لأن الكتاب المقدس يعلم

بان لدينا خيار تام بخصوص ما إذا كنا سنخلص أم لا، و المذهب الكالفيني ينكر ذلك الخيار.

ومع ذلك، فقد سبق فتم تعيننا لنُخلص. كيف؟ لعل أفضل طريقة لفهم حتمية المصير التي حسب الكتاب المقدس هي الادراك بان الله قد سبق فعين ان يخلص الناس بالمسيح. عندما نقرر في انفسنا أن نقبل المسيح بالإيمان والطاعة، نضع انفسنا بين الذين سبق الله فعينهم. لهذا يمكن ان نقول بانه سبق فعيننا للخلاص.

ولكن لم يكن القصد من هذه الآيات ان تعلم حقيقة نظرية، بل القصد منها أن تعطي تعزية للمسيحيين. أما كيف يتم ذلك؟ فهكذا: تؤكد لنا بان خلاصنا لم يحدث بالصدفة، بل حدث حسب الخطة.

النقطة الأساسية في رومية ٨: ٢٩ و ٣٠ هي التأكد لنا بان الله وضع خطة لخلاص العالم. وتم إنجاز تلك الخطة كما قُصد منها تماماً! الضمان الذي لدينا هو ان خلاصنا جاء كجزء من تلك الخطة! جاء خلاصنا كجزء من قصد الله الأبدي! لأنه قد سبق فعيننا للخلاص، نحرز ما يفوق الانتصار.

يعظم انتصارنا لأن الله يحبنا (رومية ٨: ٣١-٣٩)

عظيمة هي محبة الله: «الذي لم يشفق على ابنه». محبة الله قوية: «إن كان الله معنا فمن يكون علينا؟» (رومية ٨: ٣١). ومحبة الله ثابتة «من سيفصلنا عن محبة المسيح» (رومية ٨: ٣٥). والإجابة هي «لا أحد!» أنظر إلى قائمة الأشياء التي لا يمكن أن تفصلنا عن محبة الله. هل يمكن أن تفكر بأي شيء آخر يمكن إضافته؟ يبدو بان بولس توقّع بانه قد يحاول شخص ما القيام بذلك، فاستخلص ما بمضمونه: «أنظروا إن كان قد فات عليَّ شيء أريد أن أضعه ضمن هذه الكلمات: ولا خليقة أخرى». لا يوجد شيء في الخليقة، ولا شيء في هذا العالم يمكن أن يفصلنا عن محبة الله!

هل سألت على سبيل المثال، عن المفاهيم اللاهوتية عن الحرب النووية؟ كانت هناك حرب نووية، هل يمكن ان نقول أي شيء عنها من وجهة النظر الدينية؟ هل يذكر الكتاب المقدس شيء عن ذلك؟ نعم يذكر الكتاب المقدس شيء عن ذلك، وهذا مشمول في العبارة: «ولا خليقة أخرى». ما يمكن ان نقوله عن الحرب النووية أو أية كارثة أخرى هو: حتى ولو حدثت، لا يعني بان الله لا يحبنا بعد. ما زال الله يحبنا. ولا يوجد في الخليقة شيء يمكن ان يغير ذلك.

الخلاصة

نتمنى بان هذه الحقيقة قد تركت فيك انطباعاً قوياً: بكل هذه البركات، يجب ان نعتبر انفسنا كالذين احرزوا «ما يفوق الانتصار». يعظم نتصارنا! ننتصر كل الانتصار!

ماذا يجب أن نقول للذين يريدون أن يستجيبوا؟

أولاً: بكل هذه البركات المتاحة لك، لماذا تريد ان تبقى لمدة اسبوع آخر، أو لمدة يوم واحد، أو حتى لمدة ساعة واحدة بدونها؟ جميع هذه الأسباب التي جعلت المسيحيين يحرزون ما يفوق الانتصارهي أيضاً الأسباب التي تجعلك مسيحياً، وهي اسباب لك أيضا إن كنت مسيحيا ولكن لم تعش كمسيحي حقيقي لكي تعود للمسيح.

ثانياً: أقول بانه لا يوجد شيئا يمكن ان يفصلك عن محبة الله. هذا القول غير صحيح علي وجه الدقةً. هل لاحظت بان لم يضم في تلك القائمة شيئين يمكن ان يفصلاك عن محبة الله؟ أحدهما هو خطية. ستفصلك الخطية عن النتائج القيّمة لمحبة الله. يحبك الله حتى عندما ترتكَب خطية، ولكنك لا تستفيد من تلك المحبة ما دمت تعيش في الخطية. الشيء الآخر غير المذكور في القائمة هو أنت! يمكنك أن تفصل نفسك عن محبة الله باختيارك للخطية. هل أنت بعيد عن الله؟ فمن الذي ابعدك؟ طبعاً لم يبتعد الله عنك. قد فصلت نفسك عن الله بخطيتك. فكيف ترجع إليه؟ يمكنك الرجوع إليه وذلك بخيارك. ان تختار قبول البركات التي يريد الله بمحبته ان يعطيك. هل تقبل تلك البركات بقبول الخلاص الذي في المسيح؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧